«نظرة جديدة إلى المعجم العربي» *

القسم الثاني ** ــ المبادىء التي يقوم عليها نظام المعجم العربي والتسلسل الزمني لظهورها

الدكتور جعفر دك الباب ــ
الأستاذ في معهد اللغة والأدب العربي
ــ جامعة الجزائر ــ

في مقالة «مراحل نشأة الكلام الانساني» (1) كنا قد حددنا المراحل والأطوار التي مرت بها نشأة الكلام الانساني بالاستناد إلى المنهج التاريخي العلمي الذي استبطناه من اتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية الذي بلوره ابن جني وعبد القاهر الجرجاني في نظريتين لغويتين متتامتين. وقررنا **أن نشأة الكلام الانساني مرت بطورين :**

1 ــ الطور الأول : في الصيغة اللغوية ــ الأصل للكلام الانساني توجد علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول نتيجة محاكاة أصوات الحيوان أو الطبيعة. والصيغة اللغوية ــ الأصل هي الصيغة الشخصية المصرفة للفعل في الزمن الماضي الخاصة بالشخص الثالث والمستخدمة في خبر غير ابتدائي.

ومر هذا الطور بمرحلتين :

أ ــ **المرحلة الأولى : كانت فيها الصيغة اللغوية ــ الأصل** عبارة عن محاكاة لأصوات بعض فصائل الحيوان التي تمتلك جهازا للتصويت قريبا من جهاز التصويت عند الانسان القديم. **لذا كانت تلك الصيغة تلفظ في مقطع صوتي واحد.**

ب ــ المرحلة الثانية : ظهرت فيها صيغة لغوية ــ أصل جديدة نتيجة محاكاة أصوات فصائل أخرى من الحيوان لا تمتلك جهازا للتصويت قريبا من جهاز التصويت الانساني، أو نتيجة محاكاة أصوات الطبيعة. لذا كانت **الصيغة اللغوية ــ الأصل الجديدة لا تلفظ في مقطع صوتي واحد،**

(*) طرحت بعض النقاط الرئيسية للنظرة الجديدة إلى المعجم العربي في بحث ألقيته في (ندوة تعليم اللغة العربية) التي نظمها اتحاد الجامعات العربية في الجزائر (7 ــ 9 أفريل 1984) وعنوانه «دراسة صوتية لنظام المعجم العربي».

(**) القسم الأول وعنوانه (مراحل تشكل نظام المعجم العربي وكتابه) نشر في العدد (26) من «اللسان العربي».

1 ــ المنشورة في العدد (25) من «اللسان العربي».

بل تلفظ في أكثر من مقطع صوتي.

2 ــ الطور الثاني : في الصيغة اللغوية ــ الأصل للكلام الانساني لا توجد علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول والعلاقة بينهما اصطلاحية. والصيغة اللغوية ــ الأصل هي الصيغة الشخصية المصرفة للفعل الخاصة بالطلب (الأمر) للشخص الثاني.

ومر هذا الطور بمرحلتين :

أ ــ المرحلة الأولى : كانت الصيغة اللغوية ــ الأصل تلفظ فيها في مقطع صوتي واحد.

ب ــ المرحلة الثانية : ظهرت فيها صيغة لغوية ــ أصل تلفظ في أكثر من مقطع صوتي.

وفي القسم الأول من بحثنا «**نظرة جديدة إلى المعجم العربي**» قمنا بدراسة المعجم العربي على ضوء المراحل والأطوار التي مرت بها نشأة الكلام الانساني. وقررنا أن قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي ينص على أن البنية الحقيقية التي تتألف فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوائت في العش الواحد للكلمات هي بالضرورة الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق فيه، إذا كانت الصيغة الأسبق في الظهور تاريخيا. وقد استطعنا، بالاستناد إلى قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي، أن نكشف عن المراحل التالية في تشكل نظام المعجم العربي واكتماله :

1 ــ في المرحلة الأولى من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني بنى المعجم العربي على اعتماد صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر أصلا للاشتقاق. وكانت تلك الصيغة ثلاثية الأصوات الصامتة وسالمة (أي خالية من التضعيف والهمز والاعلال) لأنها كانت تحاكي أصوات بعض فصائل الحيوان (شحج) فتلفظ في مقطع صوتي واحد.

2 ــ في المرحلة الثانية من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني استمر المعجم العربي على اعتماد صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر أصلا للاشتقاق. وكانت تلك الصيغة تحاكي أصوات الطبيعة أو أصوات فصائل أخرى من الحيوان وتتألف من ثلاثة صوامت تلفظ في مقطعين صوتيين (خرّ، زقّ) أو تتألف من أربعة صوامت تلفظ في ثلاثة مقاطع صوتية (خرخر، زقزق).

3 ــ في الطور الثاني من نشأة الكلام الانساني بني المعجم العربي على اعتماد صيغة الأمر للشخص الثاني المفرد المذكر أصلا للاشتقاق. وكانت تلك الصيغة تتميز بأن العلاقة فيها اصطلاحية بين الصوت والمدلول.

وسنعمد في هذا القسم الثاني من بحثنا «**نظرة جديدة إلى المعجم العربي**» إلى التوسع في دراسة نظام المعجم العربي على ضوء الأطوار والمراحل التي مرت بها نشأة الكلام الانساني، وذلك من أجل تحديد التسلسل الزمني لظهور المبادىء التي اعتمدها المعجم العربي. ثم سنجري مقارنة بين النظرة القديمة إلى المعجم العربي والنظرة الجديدة إليه.

1 ــ التسلسل الزمني لظهور المبادىء التي اعتمدها المعجم العربي.

أولا : الطور الأول في نشأة اللغة العربية والكلام الانساني.

ينعكس الطور الأول في نشأة اللغة العربية في نظام المعجم العربي على الشكل التالي :

الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش الواحد هي صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر.

وتميز هنا ثلاث بنى :

صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر مؤلفة من ثلاثة أصوات صامتة وخالية من التضعيف والهمز والاعلال ـــ أي ما يطلق عليه في علم العربية **الأصل الثلاثي السالم (شحج)**. كانت هذه الصيغة في البدء تحاكي أصوات بعض فصائل الحيوان وتلفظ في مقطع صوتي واحد. فكانت لذلك أصلا للكلام الانساني، أي الصيغة الأسبق في الظهور تاريخيا.

وبتطبيق قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي، نجد أن هذه الصيغة حقيقية وتتألف فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد وهي الأسبق في الظهور تاريخيا. ويعني ذلك أنها بالضرورة هي الصيغة الحقيقية الأصل للاشتقاق في العش. لذا فإن **هذه البنية تشير إلى المرحلة الأولى من الطور الأول لنشأة اللغة العربية.**

صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر مؤلفة من ثلاثة أصوات صامتة ـــ أي ما يطلق عليه في علم العربية **الأصل الثنائي الذي ضعف الصامت الثاني فيه (خرّ، زقّ).** كانت هذه الصيغة في البدء تحاكي أصوات الطبيعة أو أصوات فصائل أخرى من الحيوان وتلفظ في مقطعين صوتيين، فكانت لذلك أصلا للكلام الانساني في المرحلة الثانية من الطور الأول لنشأته.

وبتطبيق قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي، نجد أن هذه الصيغة حقيقية وتتألف فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد، وهي الأسبق في الظهور تاريخيا لأنها كانت أصلا للكلام الانساني. ويعني ذلك أنها بالضرورة هي الصيغة الحقيقية ـــ الأصل للاشتقاق في العش. لذا فإن **هذه البنية تشير إلى المرحلة الثانية من الطور الأول لنشأة اللغة العربية. وإذا قبلنا جدلا القول بأن الأصل الاشتقاقي في المعجم ليس (خرّ) بل (خرر)، فإن فك الادغام هو السمة التي تشير إلى المرحلة الثانية من الطور الأول لنشأة اللغة العربية.**

3) صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر مؤلفة من أربعة صوامت ـــ أي ما يطلق عليه في علم العربية **الأصل الثنائي الذي كرر لفظ صامتيه (خرخر، زقزق).** كانت هذه الصيغة في البدء تحاكي أصوات الطبيعة وتلفظ في ثلاثة مقاطع صوتية، فكانت لذلك أصلا للكلام الانساني في المرحلة الثانية من الطور الأول لنشأته.

وبتطبيق قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي، نجد أن هذه الصيغة حقيقية وتتألف فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد، وهي الأسبق في الظهور تاريخيا لأنها كانت أصلا للكلام الانساني. ويعني ذلك أنها بالضرورة هي الصيغة الحقيقية ـــ الأصل للاشتقاق في العش. لذا فإن **هذه البنية تشير إلى المرحلة الثانية من الطور الأول لنشأة اللغة العربية.**

وهكذا نرى أن [illegible]ى الثلاث **(شحج، خر، خرخر) تشير من ناحية إلى [illegible]ور الأول من نشأة اللغة العربية والكلام الانساني، وتكشف من ناحية أخرى مسار تطور بنية أصل الكلام الانساني : 1ـ صيغة تلفظ في مقطع صوتي واحد. 2ـ صيغة تلفظ في مقطعين صوتيين. 3ـ صيغة تلفظ في ثلاثة مقاطع صوتية.**

كما يتبين لنا أن **المبادىء التي اعتمدها المعجم العربي في الطور الأول من نشأة اللغة**

العربية كانت التالية حسب التسلسل الزمني لظهورها :

المبدأ الأول : ــ ظهر في المرحلة الأولى من الطور الأول. ويقضي **باعتماد صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر ــ المؤلفة من ثلاثة صوامت متحركة (ثَحَجَ) أصلا للاشتقاق في المعجم.**

المبدأ الثاني : ــ ظهر في الفترة الأولى من المرحلة الثانية من الطور الأول. ويقضي **بافتراض صيغة مثالية أصلا للاشتقاق في المعجم (خرر)** يتم الحصول عليها **بفك الادغام** في الأصل الثنائي المضعف (خرّ).

المبدأ الثالث : ــ ظهر في الفترة الثانية من المرحلة الثانية من الطور الأول. ويقضي **باعتماد صيغة الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر رباعية الأصوات الصامتة (خرخر) أصلا للاشتقاق في المعجم.**

ثانيا : الطور الثاني في نشأة اللغة العربية والكلام الانساني.

ينعكس الطور الثاني في نشأة اللغة العربية في نظام المعجم العربي على الشكل التالي : **الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش الواحد هي صيغة فعل الأمر للشخص الثاني المفرد المذكر.**

وتميز هنا ست بنى لصيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر. وهي الصيغ التالية :

1) صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر مؤلفة من صوتين صامتين وتلفظ في مقطعين صوتيين **(قام) ــ أي ما يطلق عليه في علم العربية الأصل الثلاثي المعتل الأجوف.**

إننا نرى أن هذه الصيغة ثنائية الصوامت وليست ثلاثية، لأن الالف المدة هي إشباع للفتحة أي هي صوت صائت غير قصير، ولا يعتد بها بالتالي لدى تحديد البنية التي تتألف من أصوات صامتة فقط. وتتميز هذه الصيغة بأنها كانت منذ البدء لا تحاكي أصوات الحيوان أو الطبيعة، أي أن العلاقة فيها اصطلاحية بين الصوت والمدلول.

وبتطبيق قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي، نجد أن هذه الصيغة (قام) ــ على الرغم من أنها حقيقية وتتألف فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد ــ ليست هي الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش، لأن ظهور العلاقة الاصطلاحية بين الصوت والمدلول يعود إلى الطور الثاني من نشأة اللغة العربية حين كانت صيغة فعل الأمر هي أصل الكلام الانساني. ويعني ذلك أن صيغة الفعل الماضي ثنائية الصوامت (قام) ليست الصيغة الحقيقية ــ الأصل في الاشتقاق، لأنها ليست الأسبق في الظهور تاريخيا. والصيغة الأسبق هي صيغة فعل الأمر (قُمْ)، لأنها أصل الكلام الانساني في الطور الثاني من نشأته. وبما أن صيغة فعل الأمر (قُمْ) صيغة حقيقية وتتألف بنيتها فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد، فهي بالضرورة الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش.

وعليه فإن صيغة الماضي ثنائية الصوامت التي تلفظ في مقطعين صوتيين **(قام) هي صيغة مشتقة** من الصيغة ــ الأصل (قُمْ) وبما أن اتساق نظام المعجم العربي اقتضى الاستمرار في اعتماد صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر من ناحية، وبما أن هذه الصيغة (قام) ليست الصيغة الحقيقية ــ الأصل التي ينطلق منها الاشتقاق من ناحية أخرى، فقد تم **افتراض صيغة مثالية (قَوَمَ) على أنها أصل الاشتقاق.** وتتألف تلك الصيغة المثالية من ثلاثة صوامت متحركة، بحيث تبدو من

حيث البنية مماثلة لبنية الماضي ذات الأصل ثلاثي الصوامت (شحج). **وزعموا أن هذه الصيغة المفترضة تظهر برد الألف المدة إلى أصلها الواو المتحركة** (قام ← قَوَمَ) **أو إلى أصلها الياء المتحركة** (باع ← بَيَعَ).

2) صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر مؤلفة من صوتين صامتين وتلفظ في مقطعين صوتيين (رمى) ــ **أي ما يطلق عليه في علم العربية الأصل الثلاثي المعتل الناقص.** إننا نرى أن هذه الصيغة ثنائية الصوامت وليست ثلاثية، لأن الألف المدة صوت صائت غير قصير ولا يعتد بها لدى تحديد البنية المؤلفة من أصوات صامتة فقط وتتميز بأنها كانت منذ البدء لا تحاكي أصوات الحيوان أو الطبيعة، أي أن العلاقة فيها اصطلاحية بين الصوت والمدلول.

وبتطبيق قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي، نجد أن هذه الصيغة (رمى) ــ على الرغم من أنها حقيقية وتتألف فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد ــ ليست هي الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش، لأن ظهور العلاقة الاصطلاحية بين الصوت والمدلول يعود إلى الطور الثاني من نشأة اللغة العربية حين كانت صيغة فعل الأمر هي أصل الكلام الانساني. ويعني هذا أن صيغة الماضي ثنائية الصوامت (رمى) ليست الصيغة الحقيقية ــ الأصل في الاشتقاق لأنها ليست الأسبق في الظهور تاريخيا. والصيغة الأسبق هي صيغة فعل الأمر ثنائية الصوامت التي تلفظ في مقطعين صوتيين (رْمِ) لأنها أصل الكلام الانساني في الطور الثاني من نشأته. وبما أن صيغة الأمر (رْمِ)، صيغة حقيقية وتتألف بنيتها فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد، فهي بالضرورة الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش.

وعليه فإن صيغة الفعل الماضي ثنائية الصوامت التي تلفظ في مقطعين صوتيين (رمى) **هي صيغة مشتقة من الصيغة ــ الأصل** (رْمِ) **وقد تم افتراض صيغة مثالية** (رَمَيَ) **على أنها أصل للاشتقاق.** وتتألف تلك الصيغة المثالية من ثلاثة صوامت متحركة، بحيث تبدو مماثلة لبنية الماضي ذات الأصل ثلاثي الصوامت (شحج). **وزعموا أن هذه الصيغة المفترضة تظهر برد الالف المدة إلى أصلها الياء المتحركة** (رمى ← رَمَيَ) **أو إلى أصلها الواو المتحركة** (دعا ← دَعَوَ).

3) صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر مؤلفة من صوتين صامتين وتلفظ في مقطعين صوتيين (**طوى**) ــ **أي ما يطلق عليه في علم العربية الأصل الثلاثي المعتل اللفيف المقرون.** ونرى أن هذه الصيغة ثنائية الصوامت وليست ثلاثية. وينطبق عليها كل ما ذكرناه بشأن المعتل الناقص (رمى) فقط، دون ما ينطبق على المعتل الأجوف. والسبب في ذلك أن حرف العلة الأول في وسط البنية هو صوت صامت، في حين أن حرف العلة الثاني في آخر البنية هو صوت صائت غير قصير.

4) صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر مؤلفة من ثلاثة صوامت وتلفظ في ثلاثة مقاطع (**وعد**) ــ **أي ما يطلق عليه في علم العربية الأصل الثلاثي المعتل المثال.** وتتميز هذه الصيغة بأنها كانت منذ البدء لا تحاكي أصوات الحيوان أو الطبيعة، أي أن العلاقة فيها اصطلاحية بين الصوت والمدلول.

وبتطبيق قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي، نجد أن هذه الصيغة (وعد) صيغة حقيقية وتشتمل على أكثر من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد. ويعني ذلك أنها ليست

الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش.
والصيغة الحقيقية ــ الأصل في الاشتقاق هي صيغة فعل الأمر (عِدْ) التي تتألف من صامتين وتلفظ في مقطع صوتي واحد، لأنها صيغة حقيقية وتتألف بنيتها فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد، وهي الأسبق في الظهور تاريخيا لأنها صيغة أصل الكلام الانساني في الطور الثاني من نشأته.

وعليه فإن صيغة الفعل الماضي ثلاثية الأصوات الصامتة التي تلفظ في ثلاثة مقاطع صوتية **(وعد) هي صيغة مشتقة من الصيغة الأصل (عِدْ). ولما كانت هذه الصيغة (وعد) ثلاثية وتلفظ في ثلاثة مقاطع صوتية، فإنها تبدو ظاهريا مماثلة لبنية الفعل الماضي ذات الأصل السالم ثلاثي الصوامت (شحج). لذا لم تكن ثمة حاجة لافتراض صيغة مثالية على أنها أصل للاشتقاق. واعتمدت في المعجم العربي صيغة الماضي (وعد) وكأنها أصل للاشتقاق.**

ويؤكد ما ذهبنا إليه (من أن الصيغة ذات الأصل الثلاثي المعتل المثال ليست الصيغة الحقيقية ــ الأصل في الاشتقاق) إن مثل هذه الصيغة **تكون في بعض الحالات كما يقولون : «مطردة في القياس وشاذة في الاستعمال». ومثال ذلك أن صيغة الماضي المثبتة (ودع) لا تستخدم،** بل تستخدم صيغة المضارع منها منفية بالأداة (لم) ــ لم يدع ــ لتفيد الماضي المنفي.

5) صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر مؤلفة من صامتين وتلفظ في مقطعين صوتيين (وق) **ــ أي ما يطلق عليه في علم العربية الأصل الثلاثي المعتل اللفيف المفروق** إننا نرى أن هذه الصيغة ثنائية الصوامت وليست ثلاثية، لأن الالف المدة صوت صائت غير قصير ولا يعتد بها لدى تحديد البنية المؤلفة من أصوات صامتة فقط. وتتميز بأن العلاقة بين الصوت والمدلول فيها قامت منذ البدء على الاصطلاح.

وبتطبيق قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي، نجد أن هذه الصيغة (وق) صيغة حقيقية وتشتمل على أكثر من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد. وهذا يعني أنها ليست الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش. والصيغة الحقيقية ــ الأصل في الاشتقاق هي صيغة فعل الأمر (قِ) التي تتألف من صوت صامت واحد وتلفظ في مقطع صوتي واحد، لأنها صيغة حقيقية وتتألف بنيتها فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد، وهي الأسبق في الظهور تاريخيا لأنها صيغة أصل الكلام الانساني في الطور الثاني من نشأته.

وعليه فإن صيغة الفعل الماضي ثنائية الصوامت التي تلفظ في مقطعين صوتيين (وق) **هي صيغة مشتقة من الصيغة ــ الأصل (ق). هذا وتم افتراض صيغة مثالية (وَقَيَ) على أنها أصل الاشتقاق.** وتتألف تلك الصيغة المثالية من ثلاثة صوامت متحركة بحيث تبدو مماثلة لبنية صيغة الماضي ذات الأصل ثلاثي الصوامت (شحج). **وزعموا أن هذه الصيغة المفترضة تظهر برد الألف المدة إلى أصلها الياء المتحركة** (وق ← وَقَيَ).

6) صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر مؤلفة من ثلاثة صوامت وتلفظ في ثلاثة مقاطع صوتية **(أمر، سأل، قرأ) ــ أي ما يطلق عليه في علم العربية الأصل الثلاثي المهموز.** وتتميز مثل هذه الصيغة بأنها كانت منذ البدء لا تحاكي أصوات الحيوان أو الطبيعة، أي أن العلاقة فيها اصطلاحية بين الصوت والمدلول.

وبتطبيق قانون النظرة الجديدة إلى المعجم العربي، نجد أن مثل هذه الصيغة صيغة حقيقية، ولكن بنيتها قد لا تتألف فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش الواحد. وهي على كل حال ليست الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش، لأن ظهور العلاقة الاصطلاحية بين الصوت والمدلول يعود إلى الطور الثاني من نشأة اللغة العربية، حيث كانت صيغة فعل الأمر هي أصل الكلام الانساني. ويعني ذلك أن صيغة الفعل الماضي ذات الأصل الثلاثي المهموز (أمر، سأل، قرأ) ليست الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق، لأنها ليست الصيغة الأسبق في الظهور تاريخيا (والصيغة الأسبق هي صيغة فعل الأمر) لأنها أصل الكلام الانساني في الطور الثاني. هذا وقد تكون بنية صيغة الأمر مؤلفة من صوتين صامتين يلفظان في مقطع صوتي واحد (مُرْ، سَلْ) أو من ثلاثة أصوات صامتة تلفظ في مقطعين صوتيين (قرَأْ). وبما أن صيغة الأمر صيغة حقيقية ــ وتتألف بنيتها فقط من الحد الأدنى المشترك من الصوامت في العش، فهي بالضرورة الصيغة الحقيقية ــ الأصل للاشتقاق في العش.

وعليه فإن صيغة الفعل الماضي ذات الأصل الثلاثي المهموز (أمر، سأل، قرأ) **هي صيغة مشتقة من الصيغة ــ الأصل (مُرْ، سَلْ، قَرَأْ) ولما كانت صيغة الماضي ذات الأصل الثلاثي المهموز تلفظ في ثلاثة مقاطع صوتية، فهي تبدو مماثلة لبنية الماضي ذات الأصل السالم ثلاثي الصوامت (شحج). لذا لم تكن هناك حاجة لافتراض صيغة مثالية على أنها أصل للاشتقاق. واعتمدت في المعجم العربي صيغة الماضي (أمر، سأل، قرأ) وكأنها أصل للاشتقاق.**

من استعراض **البنى الست لصيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر** (قام) (رمى) (طوى) (وعد) (وقى) (أمر، سأل، قرأ)، **نراها تشير من ناحية إلى أنها جميعها ليست صيغا حقيقية ــ أصولا للاشتقاق في العش** لأن العلاقة اصطلاحية فيها بين الصوت والمدلول. ولم تظهر مثل تلك العلاقة إلا في الطور الثاني من نشأة الكلام الانساني، وكانت صيغة فعل الأمر هي الأصل فيه. **وتكشف من ناحية أخرى أن تطور بنية أصل الكلام الانساني في الطور الثاني (صيغة فعل الأمر) قد أخذ نفس مسار تطور بنية الأصل في الطور الأول :**

(1) **صيغة تلفظ في مقطع صوتي واحد.** ونرجح أنها كانت في الفترة الأولى مؤلفة من صامتين (قُمْ، عِدْ، مُرْ، سَلْ)، ثم ظهرت في الفترة الثانية صيغة مؤلفة من صامت واحد (قِ).

(2) **صيغة تلفظ من مقطعين صوتيين** (رْمِ) (طْوِ) (قْرَأْ).

ويتبين لنا **أن المبادىء التي اعتمدها المعجم العربي في الطور الثاني من نشأة اللغة العربية كانت التالية حسب التسلسل الزمني لظهورها :**

المبدأ الرابع ــ تشترك أربع من الصيغ الست هي (قام) (رمى) (طوى) (وقى) في أنها ثنائية الأصوات الصامتة، وتلفظ في مقطعين صوتيين، وتشتمل على صوت صائت غير قصير هو الألف المدة. واستوجب ذلك ظهور مبدأ جديد في المرحلة الأولى من الطور الثاني. يقضي المبدأ الرابع **بافتراض صيغة مثالية ــ تتألف بنيتها من ثلاثة صوامت متحركة ــ على أنها أصل للاشتقاق في المعجم. وزعموا أن الصيغة المفترضة تظهر برد الألف المدة في صيغة الماضي إلى أصلها ــ الواو المتحركة أو الياء المتحركة.**

المبدأ الخامس ــ تشترك **صيغتان** من الصيغ الست هما (وعد) (أمر، سأل، قرأ) في أنهما **ثلاثيتا الأصوات الصامتة وتلفظان في ثلاثة مقاطع صوتية.** واستوجب ذلك ظهور مبدأ جديد في المرحلة الثانية من الطور الثاني. ويقضي المبدأ الخامس **باعتماد هاتين الصيغتين أصلا افتراضيا للاشتقاق في المعجم.**

2 ــ مقارنة النظرة القديمة بالنظرة الجديدة إلى المعجم العربي :

عندما وضع علماء العربية قواعد الصرف ــ التي تحدد ضوابط الاشتقاق وتتعرض بالتالي إلى وصف نظام المعجم العربي ــ انطلقوا من الحروف التي يتألف الأصل منها. ولما كان مضمون المصطلح العربي (الحرف) يفيد الاشارة إلى شكل الكتابة والدلالة على الصوت، وبما أن صورة كتابة حرفي الياء والواو(ي،و) تشترك في الدلالة على الصامت والصائت غير القصير، في حين أن صورة كتابة حرف الألف (ا) تختص بالدلالة على الألف المدة التي هي صوت صائت غير قصير، فقد اضطر علماء العربية ــ لدى دراسة نظام المعجم العربي ــ إلى الانطلاق من صورة كتابة الحروف التي تتألف الكلمة منها، ولم ينطلقوا من منطلق صوتي بحت. فميزوا في الكلمة بين حروف الزيادة وبين حروف الأصل المجرد. ثم فرقوا بعد ذلك في الأصل المجرد بين حروف أصلية وحروف غير أصلية يجب ردها إلى أصلها.

وبما أنه يوجد للألف المدة حرف خاص بها في الكتابة، اضطر علماء العربية إلى القول إن (قال) ثلاثية الحروف ــ على الرغم من اشتمالها على صوتين صامتين فقط ــ لأنها تتألف في الكتابة من ثلاثة أحرف. ولما كانت مثل هذه الصيغة ــ كما بيّنا أعلاه ــ ليست الصيغة الحقيقية ــ الأصل في الاشتقاق، افترضوا صيغة أصلية للاشتقاق تتألف من ثلاثة حروف متحركة أي تقابلها ثلاثة صوامت (قَوَلَ). لذا قالوا في مثل هذه الحالة أن الألف ترد إلى أصلها (الواو). وفي كلمة (باع) قالوا أن الألف ترد إلى أصلها (الياء).

وهكذا يتضح أيضا السبب في قولهم أن صيغة (رمى) ثلاثية الحروف ويجب رد الألف فيها إلى أصلها الياء، كما يجب رد الألف في صيغة (دعا) إلى أصلها الواو. ويتضح السبب في قولهم أن صيغة (طوى) ثلاثية الحروف ويجب رد الألف فيها إلى أصلها الياء، كما يتضح السبب في قولهم أن صيغة (وقى) ثلاثية الحروف ويجب رد الألف فيها إلى أصلها الياء.

وبعد أن حددنا منطلقات النظرة القديمة إلى المعجم العربي، أصبح بإمكاننا الآن إجراء موازنة بين النظرة القديمة إلى المعجم العربي والنظرة الجديدة إليه.

انطلقت النظرة القديمة إلى المعجم العربي من صورة كتابة الحروف في الأصل. لذا فإنها لا تمكّن من دراسة البعد الزمني في نظام المعجم العربي، ولا تبين بالتالي أسباب اعتماد المعجم العربي للأسس العامة التي يقوم عليها، وهي التالية :

1 ــ التمييز بين الأصل السالم والأصل غير السالم.
2 ــ أغلب الأصول السالمة ثلاثية الحروف، أما الأصول السالمة رباعية الحروف فعددها أقل من الثلاثية.
3 ــ يجب فكُّ الادغام في الأصل ثنائي الحروف المضعف.
4 ــ التمييز بين حرف علة أصلي وحرف علة غير أصلي. ويجب رد حرف العلة غير الأصلي إلى أصله.
5 ــ لا يجب اتخاذ أي إجراء بالنسبة للأصل

المهموز. ويبقى دون تفسير بالتالي، لماذا يعتبر المهموز أصلا غير سالم.

أما النظرة الجديدة إلى المعجم العربي فتنطلق من الأصوات الصامتة في الأصل. لذا تمكّن من دراسة البعد الزمني في نظام المعجم العربي، وتفسّر بالتالي أسباب اعتماد المعجم العربي للأسس العامة التي يقوم عليها.

1 ــ إن التمييز بين الأصل السالم والأصل غير السالم يرتبط بكون الأصل السالم بنوعيه (ثلاثي الصوامت المتحركة جميعها ورباعي الصوامت غير المتحرك أحدها) صيغة حقيقية ــ أصلا للاشتقاق. أما الأصل غير السالم المعتل والمهموز، فليس صيغة حقيقية ــ أصلا للاشتقاق. ويتميز الأصل ثنائي الحروف المضعف (أي ثلاثي الصوامت غير المتحرك أحدها ــ خرّ ــ الذي اعتبره علماء العربية غير سالم)بأنه صيغة حقيقية ــ أصل للاشتقاق. ولكن ضرورة المحافظة على اتساق نظام المعجم العربي اقتضت افتراض صيغة ــ أصل في المعجم ثلاثية الصوامت المتحركة جميعها (خَرَرَ). لذا اضطر علماء العربية إلى إلحاق الأصل ثنائي الحروف المضعف بغير السالم.

2 ــ السبب في أن أغلب الأصول السالمة ثلاثية الحروف يعود إلى أنها ثلاثية الصوامت المتحركة التي ظهرت في المرحلة الأولى من الطور الأول لنشأة اللغة العربية (المبدأ الأول الذي كشفته النظرة الجديدة). والسبب في أن الأصول السالمة رباعية الحروف أقل من الثلاثية، يعود إلى أنها رباعية الصوامت غير المتحرك أحدها التي ظهرت في الفترة الثانية من المرحلة الثانية من الطور الأول لنشأة اللغة العربية (المبدأ الثالث الذي كشفته النظرة الجديدة).

3 ــ السبب في وجوب فك الادغام في الأصل ثنائي الحروف المضعف (خرّ)، يعود إلى أن هذا الأصل ثلاثي الصوامت غير المتحرك أحدها الذي ظهر في الفترة الأولى من المرحلة الثانية من الطور الأول لنشأة اللغة العربية. وتم افتراض صيغة مثالية أصلا للاشتقاق في المعجم ثلاثية الصوامت المتحركة جميعها (المبدأ الثاني الذي كشفته النظرة الجديدة).

4 ــ السبب في التمييز بين حرف علة أصلي (الياء والواو) وحرف علة غير أصلي (الألف)، يعود إلى أن حرفي الياء والواو في أصل الكلمة يعبران دائما عن صوتين صامتين. في حين أن حرف الألف في أصل الكلمة يعبر دائما عن صوت صامت غير قصير. لذا فإن الأصل المعتل المثال (وعد، يسر) ثلاثي الحروف من ناحية، وثلاثي الصوامت المتحركة من ناحية ثانية. أما الأصل المعتل الأجوف (قام) والمعتل الناقص (رمي) فكل منهما ثلاثي الحروف من ناحية، وثنائي الأصوات الصامتة من ناحية ثانية. لذا افترضوا صيغة مثالية ثلاثية الصوامت المتحركة (قَوَمَ، رَمَيَ) أصلا للاشتقاق في المعجم. وقالوا يجب رد حرف العلة غير الأصلي (وهو الألف دائما) إلى أصله (وهو الواو أو الياء) ــ (المبدأ الرابع الذي كشفته النظرة الجديدة).

5 ــ بالنسبة للأصل المهموز لم ينص علماء العربية على اتخاذ أي إجراء، لأن صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر (أمر، سأل، قرأ) ثلاثية الحروف من ناحية، وثلاثية الصوامت المتحركة من ناحية ثانية. ولكنهم اعتبروا الأصل المهموز أصلا غير سالم لأنه

ليس صيغة حقيقية ــ أصلا للاشتقاق. وكذا الحال بالنسبة للمعتل المثال (وعد، يسر) حيث الواو والياء حرفان أصليان (المبدأ الخامس الذي كشفته النظرة الجديدة).

وهكذا يتبين لنا أن **المبادىء الخمسة ــ التي كشفتها النظرة الجديدة إلى المعجم العربي ــ تؤمن من ناحية اتساق نظام المعجم العربي، وتعتبر من ناحية ثانية سمات تشير إلى البعد الزمني في نظام المعجم العربي.** كما يظهر لنا أن النظرة القديمة إلى المعجم العربي كانت قاصرة عن تفسير أسباب اعتماد نظام المعجم العربي الأسس العامة التي يقوم عليها. أما المبادىء الخمسة التي كشفتها النظرة الجديدة فقد فسرت جميع الأسس التي اعتمدها نظام المعجم العربي. وإننا نرى في ذلك أفضل دليل على صحة نظرتنا الجديدة إلى المعجم العربي.

لذا فإننا ندعو إلى التمسك بالمنطلق الذي يقوم عليه نظام المعجم العربي (وهو الرجوع إلى أصل الفعل المجرد من حروف الزيادة) لأنه ينسجم مع خصائص بنية العربية ويرتبط بمراحل نشأة العربية واكتمال نظامها اللغوي. كما ندعو إلى توضيح المبادىء الخمسة التي كشفتها نظرتنا الجديدة إلى المعجم العربي ونرفض بشدة دعوة الأستاذ عبد الله العلايلي في كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد» (2) إلى التخلي عن مبدأ الأصل المجرد من حروف الزيادة في المعجم العربي، ووضع معجم جديد يعتمد مبدأ التسلسل الأبجدي للحروف في الكلمات كما هو الحال في معاجم اللغات الأوربية. ونعبّر عن أسفنا لأن الأستاذ العلايلي قد تبنى مثل هذه الدعوة التي ترتبط ظاهريا بالمناداة بتغيير طريقة دراسة العربية فقط، ولكنها تتجاهل عمليا خصائص بنية العربية.

2 ــ المطبعة العصرية بمصر.

3 ــ النتائج المترتبة على النظرة الجديدة الى المعجم العربي :

ظهر لنا أن **النظرة الجديدة إلى المعجم العربي قد مكّنتنا**، بالاستناد إلى المادة اللغوية للعربية التي يعكسها نظام المعجم العربي، **من كشف طورين مرّ بهما الكلام الانساني في نشأته الأولى :**

الطور الأول : توجد فيه علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول نتيجة لمحاكاة أصوات الحيوان أولا ثم أصوات الطبيعة ثانيا. وكانت فيه صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر هي الصيغة اللغوية ــ الأصل للكلام الانساني.

الطور الثاني : لا توجد فيه علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول، والعلاقة بينهما اصطلاحية. وكانت فيه صيغة فعل الأمر للمفرد المذكر هي الصيغة اللغوية ــ الأصل للكلام الانساني.

ويعني ذلك أن **النظرة الجديدة إلى المعجم العربي تثبت بشكل قاطع أن اللغة العربية كانت لغة أول إنسان عاقل وجد في هذه البقعة من الأرض التي يسكنها العرب.** ويترتب على هذه الحقيقة العلمية الجديدة النتائج التالية :

1 ــ العرب هم عرب منذ ظهور الحياة الانسانية في وطنهم.

2 ــ اللغة العربية هي اللغة الأصلية للشعب العربي منذ بداية وجوده.

3 ــ كشف زيف فرضية (أسرة اللغات السامية) و(الشعب السامي). ويستتبع ذلك بالضرورة إعادة كتابة التاريخ العربي.

4 ــ إغناء المعارف الانسانية في المجالات التالية :

أ ــ الكشف عن كيفية ارتباط اللغة بالتفكير،

وتحديد المراحل والأطوار التي مرت بها نشأة الكلام الانساني.

ب ــ الكشف عن تاريخ ظهور الانسان العاقل، وعن معطيات أنثروبولوجية جديدة، وعن جوانب هامة في التاريخ الانساني في الفترة المسماة (ما قبل التاريخ).

ج ــ إمكانية اقتباس اللسانيات الحديثة للمنهج التاريخي العلمي ــ منهج مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية ــ لدى دراسة تاريخ مختلف اللغات، والاستفادة من النموذج الفريد الذي تقدمه العربية لنشأة اللغة الانسانية ومراحل تشكّل نظامها اللغوي واكتماله.

○○○